التأصيل الشرعي لإدارة وتدبير الأزمات الاقتصادية

مداخلة مستركة من إعداد: د. حروشي جلول – أ. بوعلالة عمر

مقدمة

تمثل الأزمة موقفا غير اعتياديا وغير متوقعا شديد الخطورة والسرعة ذو أحداث متلاحقة، تتداعى فيه النتائج وتختلط أسبابها، يهدد قدرة الفرد أو المنظمة أو المجتمع على البقاء. وتمثل محنة ووقتا عصيبا لصعوبة اتخاذ قرار غير مألوف في ظل حالة من غياب المعلومات وعدم التأكد والمستقبل الغامض.

وليس من نافلة القول التنبيه إلى أن من سنن الله في خلقه، تعرض الإنسان على صعيده الذاتي كدائرة ضيقة والمجتمع كدائرة أوسع لأزمات تتفاوت في طبيعتها وحدتها وقتها، ويتفاوت الأفراد والمجتمعات في إدارة هذه الأزمات والتغلب عليها.

يعبر القرآن الكريم عن الأزمة الاقتصادية – والأزمات عموما– بمصطلح (الابتلاء)، حيث يقول عز وجل ﴿ ❒❖◆✡☼✲↗☜✍ 🕮↗⇦🗭🖂◈🖘🖙 ☠↗▤✵☼◆❑➔🖬⬀🖮❒✡⬧☜◆❒ ⌘Ⅱ♌✡✍ 🖫🖈↘❸◆☼◆❒ 🖈◤❑→↗↘☜✍✂◆❒ ↬✍⬀❑⬧③↘💻✍✂ ↳▪→▦☼☞❀✍✂◆❒ 🖈✌🕓◆❑↘✍☞❀✍✂ ❏ ♌☠🕓◆❷🖂☺❒⌖☜✍✂◆❒ ❏ ♌ℳ⌖❒🗀◆❒ ❷♌[البقرة،155]﴾ ✍▫⇦🖘❸🖈☜🕓❍🕓☜✍✂ ﴿ كما يدعو إلى التوجه والتركيز على البعد الايجابي للأزمة معتبراً إياها منحة ربانية وفرصة للإصلاح وتقوية النفس, كما في قوله تعالى: ﴾ ◆❑➔♎◆❒ ✍❀★↘❶☒➹ ☎✂❑➔♎◆❷↖▤⬧✍ ♌❒🕮 ✿❁⊙◆↖◆❒ ☎✂❑☋⏳↬⬧➔✍ ♌❒🕮 ✂✿❁⊙◆↖◆❒ ☎ ⬀☠➔⏳➹☜ ≺❸⬀❷🖂⌘ ✦✐✍✂◆❒ ▤ ⬀☠↗▤➹☜ ✍❸•⌗ ◆❑➔♎◆❒ ✍❀★↘❶☒➹ ﴿ [البقرة، 216]، وقوله أيضا: ﴾ ❒♒❑←☺■🖬⬀➔⬧✍ •• ⇦⚐←☞☼❒🕮◆❒ ↖☠■🖬⬀➔◆③ ☜♒❸⊙⌑☜✍✍☜🖘 ☠↗🖅❑➔🖬⬀🖮◆☼◆❒ ✍◆☪↘⑩⬧☜☜❍◆❒ ☎ ☪❒◆☪⬀☞♌▫ ☜❸⬀❷⬧③↘💻✍✂◆❒ ﴿[الأنبياء:35] ، أي الاختبار بالمصائب وبالنعم فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط .

وفي الحديث الشريف يقول النبيε « عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[1]. ذلك أن المؤمن يؤجر على استرجاعه وحمده وصبره على المصائب.

وهكذا تربط الرؤية الإسلامية النتائج النهائية للأزمة بالنفع الذي يعود على الإنسان وفق ضوابط وشروط معروفة، الأمر الذي يبرر التساؤل: **هل توجد إستراتيجية لإدارة الأزمة الاقتصادية بأبعادها المختلفة وفق المنهج الإسلامي؟**

ويفترض البحث أن الجماعة المسلمة تتميز عن باقي الجماعات الإنسانية الأخرى في قراءتها للأزمة الاقتصادية، وكيفية مواجهتها والتعاطي معها، لما تحظى به من توجيه ودعم رباني، وبما خصها منهجها من تربية وإعداد وتأهيل لقيادة البشرية ﴿ ﴾ [البقرة،143]

كما يفترض أن المنهج الإسلامي بأصوله الربانية وأدواته الوقائية والعلاجية هو المفتاح أو البداية الصحيحة لإدارة الأزمات التي تواجه البشر؛ خاصة الأزمة الاقتصادية. فالإسلام دين واقعي عملي وليس تعاليم نظرية أو طقوس كهنوتية؛ بل هو تشريع وتخطيط وعمل.

ولإثبات هذه الفرضيات، وانطلاقاً من التساؤل المركزي المقترح في هذه المعالجة التحليلية، يتعين **(في مطلب أول)** استحضار مفهوم الأزمة الاقتصادية، وتحديد أهم ملامح المنهج الإسلامي في إدارتها وتدبيرها **(في مطلب ثانٍ)**

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ح/ 2999.

المطلب الأول: مفاهيم حـول إدارة الأزمــة الاقتصاديــة

أولا: مفهوم الأزمة الاقتصادية

يندرج ضمن مفهوم الأزمة الاقتصادية: التعريف اللغوي لها، والتعريف الاصطلاحي، فالمدلول الإقتصادي، وبيان ذلك كما هو آت:

1- التعريف اللغوي للأزمة الاقتصادية

الأزمة الاقتصادية مركب إضافي، يستلزم لتوضيح معناه اللغوي، تبين معنى مفردتيه: "الأزمة" و"الاقتصاد".

أ- الأزمة:

الأزمة في اللغة: الشدة[2]. يقال: أزم العام اشتد قحطه[3]، وتطلق الأزمة على فترات القحط وشح الموارد كما تطلق على المصائب والابتلاءات ومن ذلك قولهم:" وعلى قدر الأزمات يأتي الفرج"[4].

ب- الإقتصاد:

أما كلمة اقتصاد لغة: مشتقة من فعل قصد. والقصد:استقامة الطريق, قال تعالى: { ❒◆↖♦✍■❼ ★✐✍✂ ♙⏲⇔⑨← ✂✍◎○○⍰⌛❿⍰✍✂ }[النحل،9]؛ أي تبيين الطريق المستقيم .

والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو مابين الإسراف والتقتير[5]، يقول العز بن عبد السلام:" الاقتصاد مرتبة بين مرتبتين, ومنزلة منزلتين، والمنازل ثلاثة التقصير في جلب المصالح،

---

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 12(لا.ط؛ بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1995) ص 16.

[3]القاموس المحيط، القيروزآبادي، 1: 1390

[4] تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، أبو الحسن، علي بن أحمد السبتي الأموي، دار الفكر المعاصر لبنان، 1990، ص: 126.

[5]

والإسراف في جلبها, والاقتصاد بينهما. قال تعالى:{ ⚐➔☠▪ 🕮❒❒⬀❻◆⚐⬂☪◆🙵
✁🙵🕾⬂▤⬂☝♦🕓⬛✽ ✁🙵✎⅄🔔🙰⬄×♦ ✁🙵🕒⇳⮌♦⊞⊠⑩⬂☪◆🙵
✍🙰Ⅱ⇳ ⬉🙰⌨♦🙵⑩🙰☼♦🙵 ☎ ▫♦☺🙰✡⬀♑←⚐⬄ ←♦🙵🕾🙰⚐🙱
🕾🙤🙰☪◆⊞⬂○🕁○🙰🕒 ❒◆✍🙰☸⬀🙲⬋☠ ✍❿☽⬂☞♦🕒🕁⑨🙲
❒◆✍🙰☸⬀🙲⬋☠⬀ 🙣⊠🙵⮹🙱🖅⌨ 🙱⮹🙵🙵🕾⬂②⊠❷⬀❸◆🕒☠🙰
✁🙵✎★ 🗐 ❶♦🕒🕾🙰①🙦 ♎➔❑◆
✁🙵🕾⬂⊞⊠🙱⇳🙝⬉ ✁🙵🕾⬂⌛⊠⌨🙱❷❸← ⮹🙲🕸🙲⮶ }[فاطر ،32] فالعالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة، أما عاص ظالم لنفسه, وأما سابق مبادر بالخيرات، وأما متوسط بينهما مقتصد فيها".[6]

2- التعريف الإصطلاحي للأزمة الاقتصادية

أ- الأزمة اصطلاحا

هناك عدة تعريفات عامة للأزمة، منها:

الأزمة: "حدث أو موقف مفاجئ غير متوقع يهدد قدرة الأفراد والمنظمات على البقاء، أوهي ذلك الحدث السلبي الذي لا يمكن تجنبه أيا كانت درجة استعداد المنظمة والذي يمكن أن يؤدي إلى تدميرها أو على الأقل إلحاق الضرر بها"[7].

كما تعرف الأزمة على أنها:" خلل يؤثر تأثيرا ماديا على النظام كله كما انه يهدد الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها هذا النظام"[8].

كما يمكن تعريفها على أنها:" نتيجة نهائية لتراكم مجموعة من المؤثرات أو حدوث خلل كبير ومفاجئ في العلاقة بين العرض والطلب في السلع والخدمات ورؤوس الأموال وهي لحظة حاسمة تحمل تحولا نحو الأسوأ أو الأحسن"[9].

ب- تعريف الأزمة الاقتصادية(Economie Grises **)**

تعرف الأزمة في الفكر الاقتصادي بأنها:" اضطراب فجائي يطرأ على التوازن في واحد من الأنشطة الاقتصادية, أو في مجمل النشاط الاقتصادي في بلد ما، أو عدة بلدان"[10]، وتطلق بصورة عامة على الخلل الناشئ من اختلال التوازن بين العرض والطلب(الإنتاج والاستهلاك)[11].

6

7

8 نائل محمد المومني ،إدارة الكوارث والأزمات ،مطبعة الروزنا ،عمان، 2007 ،ص309 . وهذا اتعريف للازمة يتفق مع المعنى اللغوي لها، من وجود الشدة.

9

10

11

كذلك تعرف بأنها:" الانخفاض المفاجئ في أسعار نوع أو أكثر من الأصول. والأصول إما رأس مادي يستخدم في العملية الإنتاجية مثل: الآلات والمعدات، وإما أصول مالية هي حقوق ملكية لرأس المال المادي أو للمخزون السلعي مثل: الأسهم والسندات وحسابات الادخار مثلا، أوأنها حقوق ملكية للأصول المالية وهذه تسمى مشتقات مالية ومنها العقود المستقبلية".

ثانيا: مفهوم إدارة الأزمة الاقتصادية

1- تعريف إدارة الأزمة

أ- تعريف الإدارة لغة

الإدارة في جذرها اللغوي تعني جعل الشيء يدور، ومن استعمالها بهذا المعنى ما جاء في صحيح مسلم باب:" اسْتِحْبَابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِهِمَا عن يَمِينِ الْمُبْتَدِئِ"[12]. وكذا نقول أدار الرحى، أي حركها[13]، وأدار المحركُ العجلةَ أي جعلها تدور، ثم أُطلق وصف الإدارة على تحريك جهد جماعي نحو هدفٍ وذلك للعلاقة التلازمية بين التحريك والدوران، ففي الأم للشافعي:" وَيُعْطَى أَعْوَانُ إدَارَةِ والي الصَّدَقَةِ بِقَدْرِ مَعُونَاتِهِمْ عليها وَمَنْفَعَتِهِمْ فيها"[14]، ومن عبارات المالكية:" التجارة على ثلاثة أنواع: إدارة واحتكار وقراض، فأما المدير فهو الذي يبيع ويشتري ولا ينتظر وقتا (...) وأما غير المدير وهو الذي يشتري السلع وينتظر بها الغلاء"[15].

ب- تعريف الإدارة اصطلاحا

والإدارة في الإصطلاح:" استخدام جهد مشترك لتحريكه نحو تحقيق هدف موحد"[16].

فالادارة تفترض وجود جهد مشترك، فلا يوصف العمل الفردي بصفة الإدارة؛ إذ المدير يتولى تنفيذ الأهداف عن طريق فريق العمل يوجههم. كما أن الإدارة تتعامل مع الناس، فلا يوصف التعامل مع الآلات والجمادات بأنه عمل إداري إلا إذا كان له صلة بالناس، ويريد توجيه جهودهم نحو هدف ما.

وعملية الإدارة هي تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الهدف بتوجيه فريق العمل نحو الهدف، و إعداد الكوادر المؤهلة للتنفيذ، ثم التدبير للتنفيذ.

---

[12] صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، 3: 1603

[13] عمدة القاري: العيني، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت. 21: ص: 20.

[14] الام: محمد بن ادريس الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، 2: 72.

[15] القوانين الفقهية، ابن جزي،د.ت، 70

[16] علم الإدارة العامة ومبادئ الشريعة الإسلامية ، ماجد راغب الحلو، دار الجامعة الجديدة، 2007، ص: 7.

أما إدارة الأزمات فهي تعرف على أنها تقدير للأمور المفاجئة وتحديد اتجاهات الحركة البديلة وتصور السيناريوهات الممكنة لتطورالأحداث، ثم اتخاذ القرارات والمسارات الكفيلة بالسيطرة على الموقف مع الاستعداد للتغير عند الحاجة نفسه.

وتعرف أيضا بأنها:" علم وفن إدارة التوازنات والتكيف مع المتغيرات المختلفة، وبحث آثارها في كافة المجالات، ويمكن القول ايضاً بأنها عملية الإعداد والتقدير المنظم والمنتظم للمشكلات الداخلية والخارجية التي تهدد بدرجة خطيرة سمعة المنظمة وبقائها"[17].

2- المفاهيم المتداخلة مع مفهوم إدارة الأزمة

يلتبس مفهوم إدارة الأزمة مع العديد من المفاهيم الأخرى ذات الصلة، المتقاطعة معه في بعض المضامين، المتشابهة معه في بعض الأهداف؛ كمصطلح إدارة المخاطر، أو نظام الوقاية.. مما يتطلب التفريق بين هذه المصطلحات.

أ- إدارة المخاطر

للتعرف على الفرق بين إدارة الأزمة وإدارة المخاطر يتطلب ضمنيا ضرورة التفريق بين مفهومي الأزمة والخطر. فالأزمة كما رأينا مفهوم يعبر عن شيء حدث فعلا، أما الخطر فهو مفهوم مرتبط أكثر بعنصر الاحتمال فنقول مثلا خطر الزلازل (أي احتمال أن يقع أو لا يقع)، ولا نقول أزمة الزلازل، كما أن الخسارة الناتجة عن الخطر هي خسارة محتملة أما في الأزمة فهي أكيدة.

أما تأثير الأزمة فهو تأثير أوسع من تأثير الخطر، فمثلا نقول الأزمة المالية العالمية يعني أن تأثيرها مس العالم كله كما أن الخطر يعتبر من عوامل توليد الأزمات فمثلا نقول أزمة الرهن العقاري كانت ناتجة عن خطر الإفراط في منح القروض العقارية بدون ضمانات... وهكذا.

نخلص إلى أن" إدارة المخاطر عبارة عن منهج أو مدخل علمي للتعامل مع المخاطر البحتة عن طريق توقع الخسائر العارضة المحتملة وتصميم وتنفيذ إجراءات من شانها أن تقلل إمكانية حدوث الخسارة أو الأثر المالي للخسائر التي تقع إلى حد أدنى"[18].

بينما إدارة الأزمات هي إدارة الأزمة ذاتها للتحكم في ضغطها وفي مسارها واتجاهاتها. وهي إدارة علمية رشيدة تقوم على البحث والحصول على المعلومات والمعرفة واستخدام المعلومات المناسبة كأساس للقرار المناسب، وهي كذلك إدارة تقوم على التخطيط والتنظيم والرقابة والبعد والارتجالية والعشوائية.

---

[17] دور القائد المسلم في إدارة الأزمات، هناء يماني، ص: 1، WWW.SAAID.NETفن إدارة الازمات، جريدة الصباح

[18] طارق حماد عبد العال, إدارة المخاطر ,مرجع سابق ص 50 .

ب- نظام الوقاية

يعرف نظام الوقاية بأنه نظام يهدف إلى توفير ما يلزم من الشروط والمواصفات الفنية والإجراءات التنظيمية في بيئة العمل، لجعلها صحية وأكثر أمنا حتى لا تقع فيها حوادث وإصابات مهنية وذلك بقصد حماية مقومات الإنتاج المادية والبشرية[19].

وعليه يمكننا القول بأن مفهوم إدارة الأزمة يلتقي مع مفهوم نظام الوقاية في أن كليهما يهتمان بدراسة وتتبع العوامل والظروف التي من شأنها أن تأثر على سيرورة العمل، وكذا على مختلف الأنشطة الفاعلة داخل المؤسسة أو الكيان، لكن هذا لا يعني أن لهما نفس المعنى؛ حيث أنهما يختلفان من نواحٍ أخرى؛ حيث يركز نظام الوقاية التعامل مع الأخطار الناتجة عن المحيط الداخلي وما تعلق منه بالعمليات التشغيلية المرتبطة بالإنتاج وعلاقته بالعنصر البشري من خلال العمل على تقليل الحد الأدنى للمخاطر المرتبطة بحوادث العمل مثلا.

أما إدارة الأزمة فتركز على تحليل العوامل والمخاطر والأسباب المرتبطة بالأزمة- داخلية كانت أم خارجية – بهدف التشخيص الدقيق كخوة للمعالجة والسيطرة على نواتج الأزمة.

المطلب الثاني : ملامح المنهج الإسلامي في إدارة وتدبير الأزمة الاقتصادية

يمكن تحديد أهم ملامح المنهج الإسلامي في إدارة وتدبير الأزمة الاقتصادية في كل من: تجنب الأزمة(**أولا**) واحتواؤها وتسويتها، والاستفادة منها واستثمارها(**ثانيا**).

أولا : تجنب الأزمة

يدعو الإسلام إلى الاستعداد والوقاية والتخطيط قبل وقوع الأزمة، ويحث على اجتناب الصفات والأوضاع والظروف التي تسبب الوقوع الأزمة الاقتصادية، من خلال منظومة متكاملة صارمة(أوامر- نواهي- إرشادات...) من قبيل: تحديد علاقة الإنسان بالمال والثروة وتحديد المالك الحقيقي للمال، والأمر بالعمل والإعمار والبناء، وشكر النعم، والتزام مسلك القوام والاعتدال في إشباع الحاجات، والنهي عن الفساد والظلم.

1. تحديد لمن تعود ملكية الموارد والثروة

[19] إدوارد ب.بورودزيكيس،ترجمة د.أحمد المغربي،مرجع سابق ص88

فالقرآن يضعنا أمام صورة العلاقة النفسية غير الصحِّية بالمال، المتمثلة في حبّ المال حبّاً جمّاً، والتكالب على تحصيله بمختلف الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، حيث يتحوّل فيها المال إلى هدف وغاية ومعبود، بدلاً من كونه وسيلة وأداة لخدمة الإنسان.. جاء هذا البيان في قوله تعالى:{ ﴿ كُلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ } [الفجر، 19-20].

ثم إنّ القرآن يفتح آفاق الوعي أمام الإنسان حين يخاطبه بقوله:{ ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ } [الأنعام،94]؛ أي إنّه ليس مالكاً حقيقياً للمال.. بل المالك هو الله سبحانه، والإنسان مخوّل بتحصيل المال واقتنائه والتصرّف فيه، وفقَ قانون ونظام اقتصادي وأخلاقي لا يخلّ بحياة الفرد والجماعة.. وهكذا تتحدّد علاقة الإنسان بالمال والثروة، ويتّجه فهمه للمال فهماً روحياً وأخلاقياً، وليس فهماً مادِّياً مجرّداً.

والقرآن يوضّح للإنسان ذلك في العديد من الآيات.. مثل قوله تعالى:{ ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ } [المؤمنون، 84-89].

2. العمل والإعمار والبناء

في ظل قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود، 61] وقوله تعالى:{ ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ } [الحديد،7]، وقوله تعالى:{ ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ }

{التوبة، 105]، وقوله تعالى:{ [الملك، 2]}، فإن مهمة الإنسان المسلم في هذه الأرض تبدو واضحة جلية تتمثل في العبادة بمعناها الشامل، والتي تشتمل على طاعة الله في الفرائض كالصلاة والصيام .. وكذلك طاعة الله في المعاملات وطاعته في الإعمار والتنمية والقيام بمهام الخلافة.

إن استشعار الإنسان المسلم لهذه المعاني، يحمله مسؤولية عظيمة تدفعه إلى أن يبحث له عن دور نافع مفيد يتناسب مع هذه المهمات الملقاة على عاتقه وبما يتناسب مع طاقاته وإمكاناته التي استودعه الله إياها، وتحثُّه على العمل والسعي لطلب الرزق.

ولقد حثَّ الشارع الحكيم على المُضِيّ في التكسُّب والعمل، بل قرَن مَن يفعَل ذلك بِمَن يُجاهِد في سبيل الله لقتال الكفار؛ فقال الله Y [المزمل، 20]، كذلك جاءت التوجيهات النبوية في الحث على الكسب والعمل في العديد من النصوص، منها قوله ε « ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلاَّ كان له به صدقة »[20]، وقولهε « ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده »[21].

وقولهε أيضا « والله لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيبيعه ويستغني به ويتصدق منه خير له من أن يأتي رجلا فيسأله يؤتيه أو يمنعه وذلك أن اليد العليا خير من اليد السفلى »[22].

3. شكر النعمة

وشكر النعمة يكون باستخدام الموارد فيما خلقت له، وتوجيه وسائل الإنتاج وفق ما أمر الله عز وجل، وعكس ذلك هو كفر للنعمة؛ والكفر بأنعم الله موجب لسلبها (الأزمة) كما أوضح الله تعالى في قوله:{ :{ابراهيم،7]}

---

[20] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحرث والمزارعة – باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه 2195 .

[21] أخرجه مسلم

[22]

ومن جهة أخرى فقد وردت نصوص عديدة تبين فضل الله على الإنسان بما سخر له من الموارد والخيرات{ 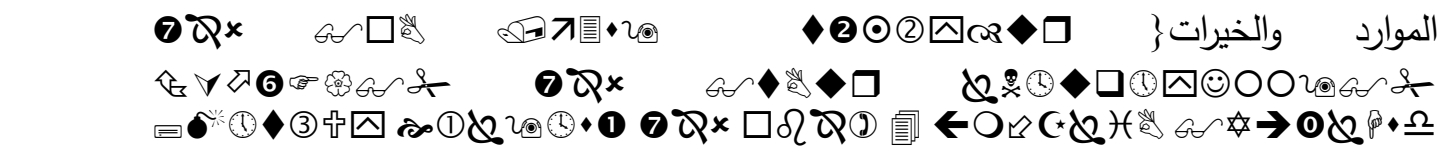 }[الجاثية، 13]، ولكن هذا التسخير لا يعني استخدام هذه الموارد في غير ما خلقت له، لأن في ذلك فسادا وإفساداً يرفضه الإسلام، كما يرفضه ذوو الفِطر من البشر الحريصون على استمرار حياتهم على هذه الأرض.

4. اتباع منهج القوام والاعتدال في إشباع الحاجات

قال تعالى:{ }[الفرقان،67]، إن منهج القوام الذي وضحه القرآن الكريم هو منهج التوازن والاعتدال، ولو أن الإنسان سار على هذا المنهج لما عانى من أزمات أو مشكلات، فمنهج القوام يؤدي إلى التوازن الاقتصادي، فتتلاشى كل الأزمات الاقتصادية مع تطبيق هذا المنهج.

وفي مجال استخدام المياه بشكل خاص نجد منهج القوام متمثلا ً في النهي عن الإسراف في استخدام المياه، وهذا يعني ضرورة المحافظة على زيادة المخزون الإستراتيجي من الماء، وقد ورد أن رسول الله ε مر بسعد وهو يتوضأ فقال« ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف ؟ قال نعم وإن كنت على نهر جار»[23]، فالحديث يحث على أن يتعود المسلم على عدم الإسراف حتى مع وفرة الماء؛ لأن هذه العادة تؤدي إلى المحافظة على الموارد.

5. النهي الفساد والظلم

نهى الإسلام عن الفساد والإفساد في الأرض بشتى أنواعه، يقول تعالى:{

[23]أحمد في المسندرقم **الحديث: 6888**

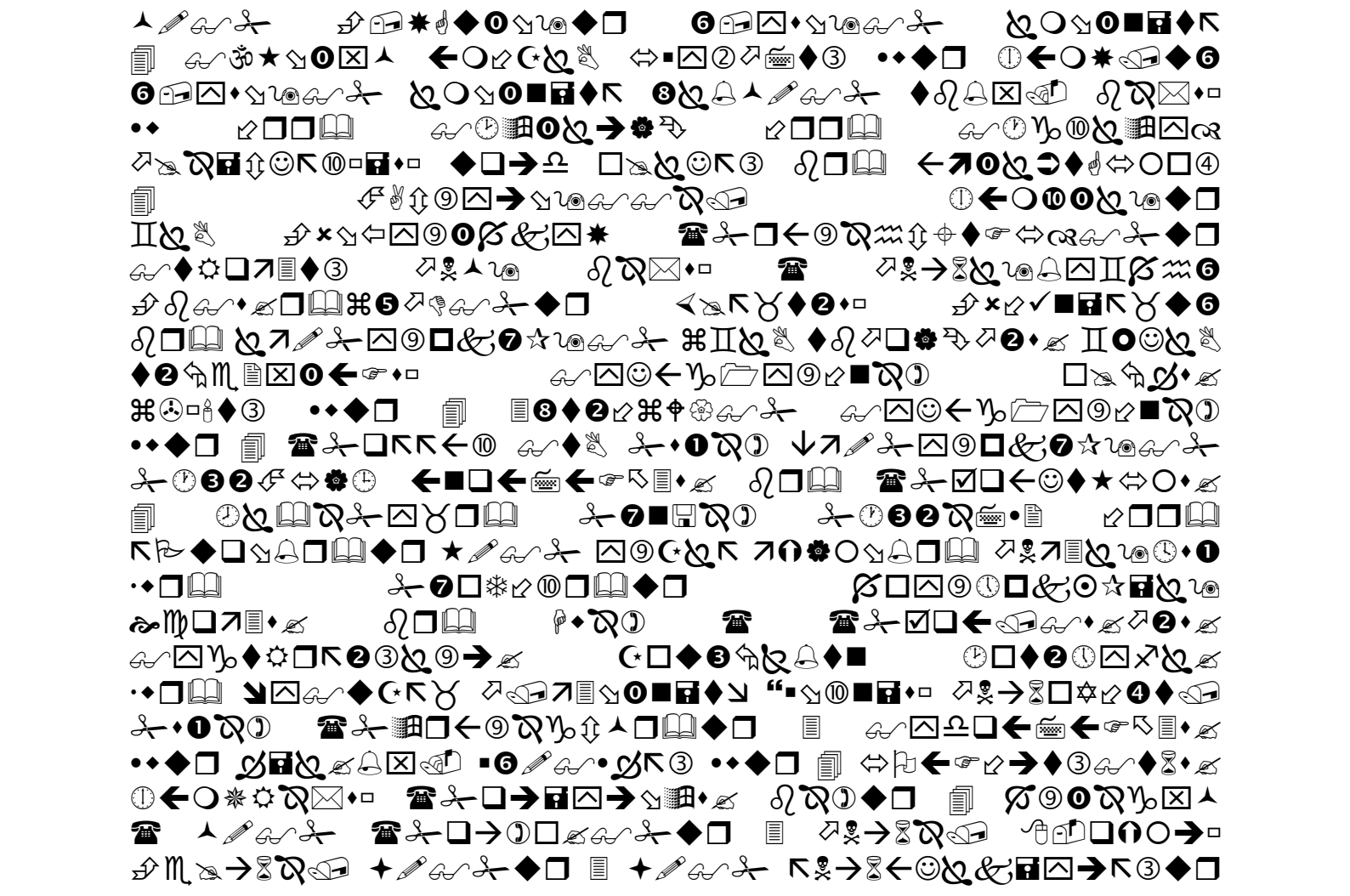

[البقرة، 282].

تحريم الاحتكار والاكتناز: قال تعالى:{

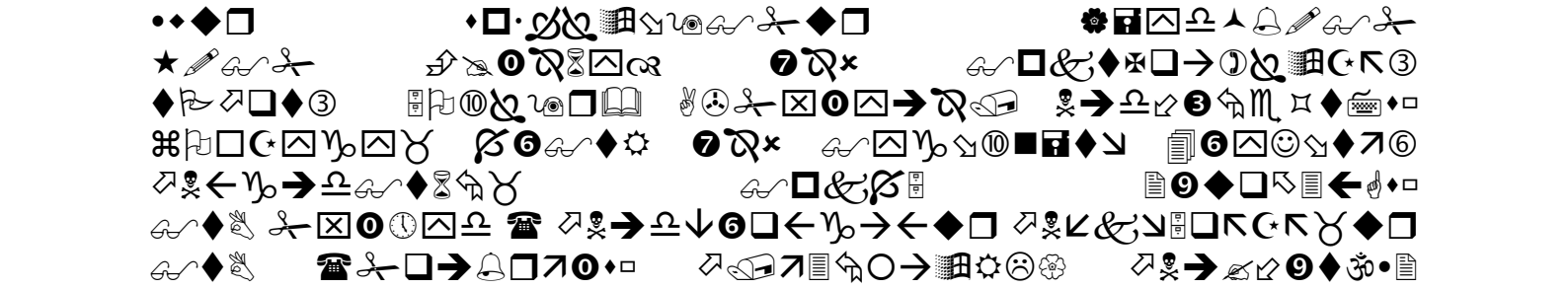

[التوبة، 34-35].

تحريم الغش والغرر : يقول تعالى:{

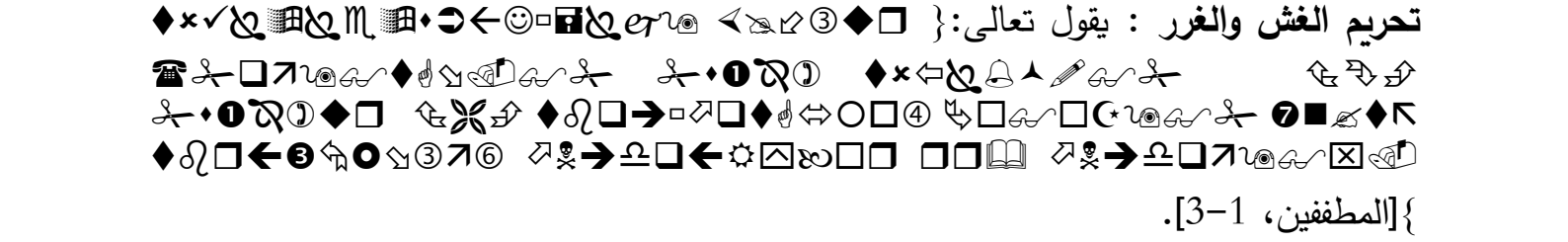

[المطففين، 1-3].

تحريم أكل الأموال بالباطل : قال تعالى: {

جاء في السيرة النبوية:« لما عجزت قريش عن قتل النبي صلى الله عليه وسلم أجمعوا على منابذته ومن معه من المسلمين، فكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم ولا يقبلوا منهم صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلم بنو المطلب رسول الله ε إليهم ليقتلوه، وعلّقوا الكتاب في جوف الكعبة، واشتد البلاء برسول ε والذين آمنوا معه حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وكان التجار يغالون في أسعار السلع عليهم وكان الأطفال يتضورون جوعا. ولم تترك سلعة تصل إليهم, وبعد ثلاث سنوات أجمع بنو قصي على نقض ما تعاهدوا عليه، فأرسل الله على صحيفتهم الأرضة فأتت على معظم ما فيها من ميثاق وعهد و لم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي ذكر فيها اسم الله عز وجل»[24].

فكان جزاء هذا الصبر والجلد وتحمل المشاق، أن الله سبحانه وتعالى قد مكنهم من منابع الثروة والاستيلاء على عروش الملوك وفتح بلاد الروم وفارس, وصدق الله إذ يقول: {

ب. الموازنة الموضوعية بين البدائل المتاحة واختيار أقربها إلى حل الأزمة وتحقيق مصلحة الجماعة

وهذا ما فعله النبي ε عندما عندما هاجر إلى المدينة، وبدأ عدد من المسلمين والصحابة رضوان الله عنهم يرتادون سوق بني قينقاع(اليهود) بهدف التجارة، وكان يسود هذا السوق الغش والربا وأكل السحت والاستغلال والخداع والاحتكار؛ مما جعل المسلمون في وضع اقتصادي متدهور جداً.

لذلك رأى رسول الله ε أنه لا بد أن تكون هناك مواجهة في مجال الاقتصاد، أو أسلوب آخر لتجاوز هذه الأزمة، بتأسيس النظام الاقتصادي الذي يسير وفق الشريعة الإسلامية، فأنشأ ε سوقًا جديدة قريبة من سوق بني قينقاع، فضربت قبة – أي خيمة كبيرة – لتكون رمزًا وعلامة يتجمع حولها المسلمون للبيع والشراء، ولقد اغتاظ اليهود من هذه السوق وتجرأ كعب بن الأشرف العدو اللدود للمسلمين وهدم القبة وقوضها وقطع حبالها، فقال الرسول ε « لأضربن له سوقًا هو

أغيظ له من هذا»، وانتقل إلى مكان فسيح صالح حر وضرب فيه برجله وقال: « هذه سوقكم لا تتحجروا – أي تضيقوها – ولا يضرب عليها الخراج»[25].

فلم يبادر الرسول في هدم سوق اليهود، بل شرع في اقامة سوق للمسلمين على الأسس الاسلامية، ووضع قواعد جديدة لصالح المسلمين كي يستقطبهم اليه. وبذلك يكون وازن بين البدائل المتاحة، مرجحاً الاصلح والافضل؛ ويتجلى ذلك في عدم المواجهة، بل الانفصال اقتصادياً في السوق –لأنه الأصوب والأنجع– دون التعرض لمبادئ سوق اليهود المتعارضة مع اصول الاسلام.

ج. المعالجة السريعة والسيطرة على الأزمة

بمعنى الاستجابة الفورية(المبادرة) والعاجلة لآثار الأزمة، وذلك بجمع كل الوسائل وتسخير كل الإمكانيات المتاحة في سبيل تجاوز الأزمة؛ فيشمل ذلك استثمار العلاقات العامة، والقدرات المالية، واستنفار كل الطاقات والأفراد، بقصد توفير كل العناصر اللازمة لمواجهة الأزمة والتخفيف من آثارها.

وهذا ما نجده في موقف الرسول ρ ، فبعد هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ازداد عدد سكانها زيادة مفاجئة، فنجم عن ذلك مشكلات(أزمة) الفقر، البطالة...لكن رسول الله ρ تدخل على وجه الاستعجال لعلاج هذه المشكلة بإعلانه المؤاخاة والتوارث بين المؤمنين المهاجرين من مكة وبين المسلمين من الأنصار أهل المدينة الذين تسابقوا إلى مقاسمتهم أموالهم عن طيب نفس بل وبإيثار... فتم بهذا التدخل حل أعظم مشكلة تعرض لها المهاجرون في مطالع هجرتهم إلى ديار إخوانهم الأنصار.[26]

د. التدخل العملي لمواجهة الأزمة

بعد الإحاطة بعناصر الأزمة الموازنة الموضوعية بين البدائل المتاحة واختيار أقربها إلى حل الأزمة، يتوجب التدخل للتعامل والسيطرة عليها، والاجتهاد في إيجاد اجراءات إيجابية غير تقليدية وغير مألوفة لحلها، والتعامل المباشر والشخصي مع المتأثرين(ضحايا) من الأزمة.

وقد جسد رسول الله ε هذه الاستجابة الفاعلة للأزمة باتخاذ قرارات وخطوات لمواجهتها مواجهة الواثق الذي يأخذ بالسنن والأسباب، ولا ينتظر حدوث الخوارق والكرامات في مناسبات عدة، منها:

25

26 محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص32.

- حين جاءَه رجلٌ يطلب منه مالاً ويشكو إليه داء الفقر وقلَّة ذات اليد؛« فعن أنس بن مالك أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النبي ε يسأله فقال: أمَا في بيتك شيء؟ قال: بلى، حِلْس[27]نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب[28]نشرب فيه الماء، قال: ائتني بهما، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ε وقال: مَن يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، وقال: مَن يَزِيد على درهم؟ – مرتين أو ثلاثًا – قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري وقال: اشترِ بأحدهما طعامًا وانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخَر قدومًا فائتني به، فشد رسول الله ε عودًا بيده ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ε : هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألةُ نكتةً في وجهِك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقِع[29] أو لذي غرم مفظع[30] أو لذي دم موجع[31] »[32].

وهكذا نستنبط من هذا الحديث مراحل إدارة هذه الأزمة المتمثلة في:

- طلب منه المشاركة في التمويل؛ أي أن يقدِّمَ شيئاً يصلُح للبيع؛
- حث المجموعة على المساهمة قدر المستطاع بطريقة البيع بالمزاد العلني ليحصِّل أكبر قدْر ممكنٍ من المال؛
- وثِقَ رسول الله بالرجل فأعطاه قيمة أصوله التي بيعت ليتدبَّرَ أمرَه بالشكل الذي سيرسمه له؛
- طلب منه أن يكفيَ عائلته أولاً،(المحافظة على سلم الأولويات في معالجة الأزمة)؛
- وعلَّمه الاقتصاد بضرورة توجيه قسمٍ من الثروة نحو الاستثمار وذلك بشراء الأصول المنتجة (الحبل والفأس)؛
- طلب منه شراء أدوات ولوازم العمل، ولم يقم هو أو أحدٌ من أصحابه بذلك،
- ساعده في تجميع أدواته لتصبحَ أكثرَ جاهزية للعمل (فشد رسول الله ε عودًا بيده)؛

---

[27] الحلس: كساء يوضع على ظهر البعير أو يفرش في البيت تحت حر الثياب.

[28] القعب: القدح أو الإناء.

[29] والفقر المدقع: الشديد، وأصله من الدقعاء وهو التراب، ومعناه: الفقر الذي يُفضِي به إلى التراب؛ أي: لا يكون عنده ما يتقي به التراب.

[30] الغرم المفظع: أن تلزمه الدية الفظيعة الفادحة، فتحل له الصدقة ويُعطَى من سهم الغارمين

[31] الدم الموجع: كناية عن الدية يتحمَّلها، فترهقه وتوجعه، فتحل له المسألة فيها.

[32]

- علَّمه الدَّورة الاقتصادية وذلك بتحويل أصوله إلى سيولةٍ نقديةٍ مكَّنته من شراء أدواته الإنتاجية ثم طلب منه العمل وبذْلَ الجهد (اذهب) ثم علَّمه التحويلَ الصناعيَّ (احتطب) ثم تحويل البضاعة إلى نقدٍ بالبيع (بع)؛
- أعطاه مهلةً زمنيةً معقولةً (ولا أرينك خمسة عشر يومًا) لمعرفة جدوى هذا العمل وما سيعود عليه من نفع بعد التدقيق في نتائج عمله والحكم بأنه نافعٌ ومُجْدٍ؛
- حذَّره من السؤال وبيَن له أنه لا يجوز إلا لثلاثةٍ: ذي فقرٍ مدقعٍ أو غرمٍ مفظعٍ أو دمٍ موجعٍ.

– ومن ذلك ما رُوِيَ من أنه « كان من نعم الله على عليٍّ بن أبي طالب τ ، أنَّ قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب في عيال كثير، فقال رسول الله ρ لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه، فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ρ عليا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ρ حتى بعثه الله نبيا، فاتبعه وصدقه، وأخذ العباس جعفرا، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه»[33].

2. استثمار الأزمة والاستفادة منها

لا تكتمل عمليات إدارة الأزمة دون الاستفادة من إيجابياتها، تحويلاً للمحنة إلى منحة، فعلى الرغم الأخطار التي نراها في الأزمة فإنها تحمل في داخلها عدداً من الإيجابيات؛ منها أنها تعطي فرصة للتغيير، وتحفز أجهزة الإنذار المبكر للتنبؤ بالأزمات المحتملة، ومن ثم تعبئة الموارد المتاحة وحشدها لمنعها.

وبناء على القراءة العلمية والموضوعية للأزمة يمكن إبراز البعد الايجابي لها في النقاط التالية:

أ- تمثل الأزمة اختبار وابتلاء للمؤمن تمحيصا لإيمانه واختبارا لصبرة واتزانه؛ فالمصيبة كيرُ العبد، فإما أن يخرج ذهباً أو خبثا، يقول جل الله Ψ: ﴿ ✍︎☝︎↗︎✍︎❻ ☼⧫︎▥︎⬂︎▪︎🖫︎
❶⬥︎✁︎✏︎✶︎⌀︎◑︎⬥︎◻︎➔︎ ✁︎✍︎☞︎⬂︎☺︎◰︎❑︎⬀︎☠︎✍︎ ▤︎ ❒︎◆︎☼︎⧫︎⌨︎⬀︎◧︎➔︎❑︎✍︎↗︎☠︎

---

[33] المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري،ج:3 ص:666 برقم 6463

ه- القدرة على الاتصال الفعال بالآخرين وتكوين العلاقات الإيجابية معهم والاستفادة من خبراتهم، وبذلك نتمكن من التمييز بين الصديق المساند والعدو المتهرب؛ مما يستوجب الحذر والمراقبة المستمرة للخصوم.

و-يبقى الإستغفار والتمسك بالقيم والمثل والأخلاق والسلوكيات الحسنه حصن الأمان الأساسي لتجنب الأزمات مستقبلا مصداقا لقوله تعالى:{ ❐◆👌◆❐ 🗎•🕭♍ ✦🖉🖎✂ ❁💣☼❐🕮◆❐ ⬀☠←♍♦📪🖙🖝➔↖⓿🖂➔↖⓿🕭 ✦🖉🖎✂ 🕭♍🕭☒📠 🖎♦👌◆❐ 🗐 ⬀☠🖙&❸🕭▫ ♦♌❐↖❷🕭🖽⇘⇔♦☝⇔○□④ ⬀☠➔♎◆❐ ⬀☠←♍♦📪🖙🖝➔↖👌 }[الأنفال،33]، وقول الرسول ε « من أكثر من الإستغفار جعل الله له من كل هم مخرجا ومن كل ضيق فرجاً»[35].

[35] رواه أبو داود (1518) وابن ماجه (3819) ، وأحمد في "المسند" (248/1) ، والطبراني في "المعجم الأوسط" (240/6)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (351/3).